خطبة الشيخ أحمد السبيعي في بيرمنغهام

http://ar.alnahj.net/audio/1266

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:102]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:1] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴿70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:70-71] أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أما بعد:

فلو رجعنا إلى أيام قريبة مضت وقد ودعنا ضيفا كريما حل بساحتنا فأغتمنا من حسناته، وحلت علينا بركاته، أعني رمضان.

فرمضان قد أسدلت أستاره وأطفئت أنوارهُ، إلا في قلوبِ من خرجوا منهُ بالفائدة التامة من الإيمان والتقوى والاعتصامِ بالسنة.

فلو رجعنا إلى بداياتِ رمضان حين كنا نحرصُ على أن نستمعَ إلى الأدلةِ الشرعية التي دلت على فضلِ الشهر فإننا سنجدُ حقيقةً مهمة عظيمة، ينبغي أن لا نغفل عنها لا في رمضان ولا في غيره، فكلنا يتذكر حديث رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حين رقى المنبر ثم قال له جبريل: ((قل آمين. فقال -صلى الله عليه وسلم-: آمين. قال جبريل: رغم أنف امرء دخل رمضان ثم خرج ولم يغفر له)).

وقال –صلى الله عليه وسلم – : ((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه)). وقال –صلى الله عليه وسلم – : ((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه)) وقال –صلى الله عليه وسلم – : ((من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)). وقال عائشة –رضي الله عنها–: ((يا رسول الله أرأيت إن أدركت ليلة القدر ما أقول ؟ قال: قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني)).

إذًا فالشرع يجعل غاية رمضان من خلاصةِ فائدته أن يخرج وقد غفرت ذنوبهُ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صدق المقولة العظيمة الجامعة التي قالها علي –رضي الله عنه وأرضاه – : " **لا يخافنَّ عبدا إلا ذنبه ولا يرجونَّ إلا ربه**". إذا فالحاجة للاستغفار، والحاجة إلى التوبة لله –جل وعلا– لا تكون في وقت دون وقت، ولا تكون في حال دون حال، بل أعظم أعمال الإسلام الصلاة، التي تكفر بِها السيئات، ويتقربُ العبدُ بِها إلى ربِّهِ، شرع لنا النبي – صلى الله عليهِ وسلم – عند انقضائها أن نقول: استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله.

إذًا فهذا يذكرنا بالتوبةِ والاستغفار وأنها من الواجبات التي ينبغي أن نقومَ بِها طِوالَ حياتنا، في كلِ أنفاسِنا، لا يُغُرِّنَّك عملٌ قمت بهِ، لا يُغُرِّنَّك علمٌ تحصلتُهُ، لا يُغُرِّنَّك أي شيء، فإنك أن أوخذتَ بذنوبِكَ فستهلك، وليس لك إلا أن يرحمك الله ويغفر لك ذنبك، وأن يقيك شر ذنبك.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم:8]

وقال– صلى الله عليهِ وسلم –: ((يا معشر الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوبُ إليهِ واستغفره في اليوم أكثر من سبعين مرة)) وكان يحصى للنبي – صلى الله عليهِ وسلم – في

المجلس الواحد أكثر من مئة مرة، وهو يقول: ((اللهم أغفرلي، وتب علي أنك أنت التواب الغفور)).

بل إن التوبة إلى الله – جل وعلا – لما كانت بهذهِ المنزلة في عبادة الله ابتلى الله – جل وعلا – أنبيائه وأصفِيائه وخلاصة عبادهِ، فوفقهم الله – جل وعلا- إلى أن يتوبوا، لأن العلماء قالوا: أن التوبة يتجلى فيها حقيقة التذلل والانكَسار لله – جل وعلا – وهذا هو معنى العبادة، فالعبادة تذللٌ وانكسارٌ وافتقار إلى الله – ج وعلا- ولهذا قال بعض أهل العلم الأذكياء – رحمهم الله تعالى-: لأن يبتلى العبد بذنب فيتوب ويذهبُ مافي نفسهِ من عجب، وينكسر للهِ –جل وعلا- خيرٌ له من يطيعهُ ويطيع، ثم يظن في نفسهِ أنه من أهل الطاعة، وينظرُ في نفسهِ إعجابًا وتيهًا واختيالا.

نعم أيها الأخوة ما أحوجنا إلى أن نتوب ونستغفر، قال – صلى الله عليهِ وسلم –: ((طوبى لمن وجد في صحيفتهِ استغفارًا كثيرًا)) فالتوبة إلى الله – جل وعلا – واستغفارُهُ ينبغي أن تكون في كل وقتٍ وزمان وفي كل حين.

ومادامت كلمتنا قد ذكرت برمضان فلا بأس، بأن نجتر من فائدة رمضان أيضًا فائدة أخرى أراها مهمة جدًا ويغفل عنها أيضًا كثيرًا جدًا وذلك أننا نعلمُ أن في رمضان قد أنزل الله –تبارك وتعالى- كلامهُ الذي هو القرآن

وكلنا كان يقرأ قول – جل وعلا – فيهِ شهر رمضان صراحةً، فقال مولانا – سبحانهُ وتعالى- : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْه﴾ [البقرة 185]

واختصرُ على هذا الموضع، لأنه موضعُ شاهدي، فالله – جل وعلا – يقول: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ماذا؟ ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ فقط هدى ؟ لا ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى﴾ فقط بيانات من هدى لا ، ﴿وَالْفُرْقَانِ ﴾ إذًا فتقوى الله – جل وعلا – لا تنفك عن الفرقان ومعرفة الحق، هذهِ الصورة البائسة والطريقة اليائسة التي صورها أهل البدع للناس، فأكثروا فيها وأكثروا وأكثروا حتى تصور كثيرٌ من المسلمين أنه من الممكن أن يكون تقيًا ونقيًا وأن يكون مصرًا على بدعهِ أو لا – سنة، كلا وربُّ الكعبة، فإن حقيقة التقوى لله – جل وعلا – التي يطرح إليها لا يتم ولا تبنى إلا بإتباع السنة أو يكون الرجل .أو المرأة أصحابُ سنة

هذهِ حقيقة يجب أن ننهج بها، فإذا كنا طمحنا في رمضان أن يحقق الله –جل وعلا – لنا التقوى حين قال الله لنا – جل وعلا – : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة 183]

فليس تقوى الله – جل وعلا – أنْ تَقْرَأَ القرآن، وأنْ تَخْضَع، وأنْ تُقيمَ الطّاعات، ثمّ لا تكونُ مُتَمَسِّكًا بسنّة، مُتَمَسِّكًا بالسّنّة على ما كان عليه أصحابُ النبيّ – صلى الله عليه وسلم –، هذا غيرُ صحيح،

وهذا مفهومٌ يَجِب أنْ يُكافَح ويُجاهَد، بل اقتِصادٌ في سُنّة خيرٌ من اجتهادٍ في بدعة، بل إنَّ الأدلّة الشرعيّة تدُل أنَّ إنهِمارَ العيون بالبكاء، وكَثْرَةَ التَّخَشُّعِ، وكَثْرَةَ العبادة على غير سُنّة نَذيرُ خَطَرٍ على المسْلِم، وليست بُشارةَ خير.

ولذلك فأنتَ تَجِدُ أنَّ عُلَماءَ السّنّة – رحمهم الله تعالى – صريحينَ في هذهِ المعاني وواضحين، فينبغي لنا أنْ نَذْكُرَ وأُذَكِّرَ نفسي وإيّاكم بعد تَذْكيرِها بتقوى الله – جل وعلا

– أنْ نَتَذَكَّرَ عِظَمَ فَضْلِ الله – جل وعلا – علينا في نِعَمِهِ عمومًا وفي الهِدايةِ إلى السّنّةِ خصوصًا ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [فاطر: 3]، قال – تعالى –: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: 11]، فأعظَمُ نِعَمِ الله – جل وعلا – على العبد أنْ يُوَفَّقَ إلى السنّة، قال الإمام أحمد وغيرُهُ من الأئمة – رحمهم الله تعالى –: لا أدري أيُّ نِعمةِ الله عليَّ أعظَم؛ أنْ هَداني للإسلام أو هداني للسنّة.

إذًا فعلى صاحِبِ السنّة أنْ يَعْرِفَ فضْلَ الله – جل وعلا – العظيم عليه بأنْ هداكَ للسنّة، هذا أمرٌ هو أعظَمُ نِعمة ينالُها مخلوق في الأرضِ الإسلام، وأعظَمُ نِعمَة يَنالُها في الإسلام أنْ تكونَ على السّنّة.

فيا صاحِبَ السّنّة اذكُر نِعمَة الله – جل وعلا – عليك في أنْ عَرَفْتَ الطريقَ الصحيح الذي ضَلَّ عنهُ أكثرُ النّاس.

يا صاحِبَ السنّة اذكر فضْلَ الله – جل وعلا – عليك في ثلاثٍ وسبعينَ فِرْقَة قد أَضَلَّهُم الله – جل وعلا – فَنُجّيتَ منهُم، وصِرْتَ بيُسْرٍ وسهولة تَعْتَقِدُ تَتَدَيَّنُ على ما كان عليه النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، يا صاحِبَ السّنّة قَلْبُكَ فيه يقين بالحقّ، وانشراح بمذْهَب السّلَف الصالح، بيْنَما كثير بل الأكثرُ من المسلمين في أودِيَة الحَيْرَة والتَّذَبْذُب والتَّشَكُّك.

يا صاحِبَ السّنّة ما بالُكَ ما بالك يا صاحِبَ السنّة تَلْتَفِتُ يمينًا وشِمالًا، ما بالكُ يا صاحِبَ السنّة ما هذا الذي نراهُ اليوم، أُناسٌ وَفَّقَهُمُ الله – جل وعلا – للسنّة ولطريقِ علماءِ السنّة ولأصولِ السنّة، ثمّ تَجِدُهُم غيرُ قانِعين وغيرُ مُسْتَيْقِنين الطريقَ الصحيح، فتَجِدُ بعضُهُم هداهُمُ الله – جل وعلا – يَخوضُ في الأحداثِ ويَتَفاعَلُ مع السّياسة ويَبْني دينَهُ

عليها، وكَأَنَّ لسانَ حالِهِ يُذكِّرُنا بِنَفَرٍ كانوا مع النبيِّ – صلى الله عليه وآلهِ وسلم – وكانوا حَديثي عَهْدٍ بإسلام، فمَرّوا بشجرة يُقالُ لها ذاتُ أنْواط، كان المشرِكون يُعَلِّقونَ فيها أسلِحتَهمُ رَجاءَ البَرَكة، فقال هؤلاء القوم: ((اجعْل لنا ذاتَ أَنْواط كما لَهُم ذاتُ أَنْواط))

فأنا أقول لبعضِ أصحابِ السنة هداهُمُ الله – جل وعلا –: ما بالُ لِسانُ حالِكم يقول: اجعل لنا فِقْهَ واقِع كما للجماعات فِقْهُ واقِع!

لا نحن لنا طريق واضح وبَيِّن، وأصولُهُ واضِحة وتحتاج إلى صبر ويقين.

يا صاحِبَ السنة تَذَكَّر قول الله – جل وعلا –: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ [الشعراء: 205، 206، 207].

يا صاحِبَ السنة تَذَكَّر قولَ الله – جل وعلا –: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: 131].

أنتَ هُديتَ إلى السنة، أتَعْلَم ما السنة! أنت هُديتَ إلى السنة وفي هذا الزمن الذي يَنْتَسِبُ ظاهِرًا للسنة كثيرٌ ممن يخونُها

أنت هُديت إلى السنة، أتعلم ما السنة؟

أنت هُديت إلى السنة وفي هذا الزمن الذي ينتسبُ ظاهرًا للسنة كثيرٌ ممن يخونها.

أنت وفقك الله –جل وعلا– لمعرفة العلماء الصادقين الذين زكّاهم الأئمة كالشيخ ربيع الذي زكّاهُ الألباني وابن باز وابن عثيمين، ائتني بعالم أُتُفِقَ على تزكيته غير هذا الرجل، فأنت وُفقت للطريق الصحيح، ووُفقت للسنة، ووُفقت لهذا الخير العظيم، يجب أن

نستشعر عِظم فضل الله –جل وعلا–علينا في ذلك إخوة الإسلام، ومن شُكر الله –عزَّ وجل–أن نتذكر أن السنة لا يمكن أن تصبر عليها إلا بأن تستحضر قول النبي– صلى الله عليه–وآله وسلم: ((عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور))، دع عنك المتاجرين بالأخلاق، أو المشهرين للرفق طعنًا في أهل السنة، أو الذين يقولون حقوق الأخوة في الله، دع عنك هؤلاء وهؤلاء واستيقن الحق، واصبر واعرف حقوق إخوانك في الله–جل وعلا– وتعاون معهم على البر والتقوى والسنة.

أسأل الله–تبارك وتعالى– أن يُغيثني وإياكم بغوثه وهدايته وعفوه وستره، وأن يجعلنا على السنة ظاهرًا وباطنًا، وأن يختم لنا ولكم بخير.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وسلم، أما بعد، فلا أريد أن أكرر وأكرر، إنما هو معنى واضح وبيِّن ورسالة مختصرة، أريد لكل من وفقه الله–جل وعلا–للسنة أن يستحضرها، وهو أن السنة تُريد منك كما أنت تُريد منها، أنت تريد أن تتشرف بهذا الاسم الشريف فكن صاحب سنة في هذا الزمن الذي تلاطمت فيه أمواج الشبه والضلالات والظلمات، تريد أن تتشرف بهذا الاسم الشريف دون أن تعطي لهذه الدعوة ولهذا الحق من نفسك شيئًا، أقل الإيمان أن نعطي هذه الدعوة التي وفقنا الله–جل وعلا– إليها أن ندعوَ بظاهر الغيب بنصرها وبالألفة عليها، أقل الإيمان أن ندعُوَ، أقل الإيمان أن نفعل شيئًا، افعل شيء جاهد في سبيل الله–تبارك وتعالى–.

أقل المجاهدة التي قد نريدها من بعض إخواننا هنا أو هناك أن يكفّوا أذاهم عمّن يجاهد في سبيل الله، أقل الإيمان أن تكُفَّ أذاك، لسانك، أن تكُف عن طعن بغير بصيرة وبغير علم

بالقائمين على السنة، هذا أقل ما ينبغي لصاحب السنة الصادقة الذي يريد ما عند الله– جل وعلا–.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، اللهم امنن علينا جميعًا بتوبةٍ نصوح خالصة، وأهدنا إلى صراطك المستقيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.